

سورة القدر مكية

وآياتها خمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنْزِيلُ الْمَلَكِ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : إنا أنزلنا هذا القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، وهي ليلة الحكم التي يقضي الله فيها قضاء السنة ؛ وهو مصدرٌ من قولهم : قدر الله عليّ هذا الأمر ، فهو يقدرُ قدرًا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

حدثنا ابن المثنى قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ، وكان الله إذا أراد أن يوحى منه شيئاً أوحاه ، فهو قوله : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ »^١ .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن حكيم بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : نزل القرآن في ليلة من السماء العليا إلى السماء الدنيا جملةً واحدةً ، ثم فرّق في السنين ، وتلا ابن عباس هذه الآية : « فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ » قال : نزل مُتَفَرِّقًا^٢ . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

^١ أخرجه الحاكم في المستدرک (٢٨٧٧) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

^٢ أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٧٨١) بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وأخرج ابن منده في مسنده (٧٠٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : نزل القرآن جملةً واحدةً إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ونزل بعد في عشرين سنة ، « ولا يأتونك بمثل إلا جئتكم بالحق وأحسن تفسيراً » « وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً » وقال : إسناده صحيح .

وقوله: « وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ » يقول: وما أشعرك يا محمد أي شيء ليلة القدر خير من ألف

شهر.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: العمل في ليلة القدر بما يرضي الله، خير من العمل في غيرها ألف شهر.

وقال آخرون: معنى ذلك أن ليلة القدر خير من ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر.

وقال آخرون في ذلك ما: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن المثني بن الصباح، عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، ففعل ذلك ألف شهر، فأنزل الله هذه الآية: « لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل^٣.

وقال آخرون في ذلك ما: حدثني أبو الخطاب الجارودي سهيل، قال: ثنا سلم بن قتيبة، قال: ثنا القاسم بن الفضل، عن عيسى بن مازن، قال: قلت للحسن بن علي رضي الله عنه: يا مسود وجه المؤمن، عمدت إلى هذا الرجل، فبايعت له، يعني معاوية بن أبي سفيان! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أري في منامه بني أمية يعلون منبره خليفة خليفة، فشق ذلك عليه، فأنزل الله: « إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكُوفَرُ » و « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ » يعني ملك بني أمية؛ قال القاسم: فحسبنا ملك بني أمية، فإذا هو ألف شهر^٤.

وأشبه الأقوال في ذلك بظاهر التنزيل قول من قال: عمل في ليلة القدر خير من عمل ألف شهر، ليس فيها ليلة القدر.

وأما الأقوال الأخر، فدعاوى معان باطلة، لا دلالة عليها من خبر ولا عقل، ولا هي موجودة في

التنزيل.

^٣ الحديث مرسل، أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٣٠٦/٤).

^٤ ذكره ابن كثير في تفسيره (٥٣٠/٤) وقال: « منكر جداً » ثم قال: « وما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سبق لزم دولة بني أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فإن تفضيل ليلة القدر على أيامهم لا يدل على ذم أيامهم فإن ليلة القدر شريفة جداً والسورة الكريمة إنما جاءت لملاح ليلة القدر، فكيف تمدح لتفضيلها على أيام بني أمية التي هي منمومة بمقتضى هذا الحديث ... ثم الذي يفهم من الآية أن الألف شهر المذكورة في الآية هي أيام بني أمية والسورة مكية فكيف يُحال على ألف شهر هي دولة بني أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها، والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد ملة من الهجرة، فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارتة والله أعلم ». وقال عنه الألباني في « ضعيف سنن الترمذي، ٣٥٨٨ »: « ضعيف الإسناد مضطرب وممتنع منكر ».

وقوله: « تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَجِبْرِيلُ معهم ، وهو الروح ، في ليلة القدر « بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ » يعني بإذن ربهم ، من كل أمر قضاه الله في تلك السنة ، من رزق وأجل وغير ذلك . وقال آخرون : « تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ » لا يَلْقَوْنَ مُؤْمِنًا وَلَا مُؤْمِنَةً إِلَّا سَلَّمُوا عَلَيْهِ .

وقوله : « سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » سلام ليلة القدر من الشر كله من أولها إلى طلوع الفجر من ليلتها . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

وعني بقوله : « حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » : إلى مطلع الفجر .

واختلفت القراء في قراءة قوله : « حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » فقراءت ذلك عامة قراء الأمصار ، سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي « مَطْلَعِ الْفَجْرِ » بفتح اللام ، بمعنى : حتى طُلوعِ الفجر ؛ تقول العرب : طلعت الشمس طُلوعاً ومَطْلَعاً . وقرأ ذلك يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي : « حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ » بكسر اللام ، توجيهاً منهم ذلك إلى الاكتفاء بالاسم من المصدر ، وهم يَنوونَ بذلك المصدر .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : فتح اللام لصحة معناه في العربية ، وذلك أن المَطْلَعَ بالفتح هو الطُلُوعُ ، والمَطْلَعُ بالكسر : هو الموضع الذي تَطْلُعُ منه ، ولا معنى للموضع الذي تَطْلُعُ منه في هذا الموضع .

آخر تفسير سورة القدر